تسلية المصاب عند فقد الأقربين والأصحاب

تأليف

إبراهيم بن علي بن محمد الشريم

تقديم

عبد العزيز بن محمد السدحان

مصدر هذه المادة :



دار ابن الأثير

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد:

فإن من حكمة الله تعالى أنه خلق الإنسان في كبد، مكابدة مع أهله وولده، مكابدة مع الناس، مكابدة مع الشيطان، وهكذا الإنسان في حياته القصيرة يتعرض لمصائب متنوعة، تارة في المال، وتارة تكون مصيبة حسية، وتارة معنوية، إلى غير ذلك.

ولما كان من طبيعة الإنسان الجزع والفزع عند حدوث نازلة به، وبخاصة موت قريب أو صاحب، بين الله تعالى طبيعة الداء والدواء فقال الله عز وجل: ﴿ **إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا** ﴾ [المعارج: 19-21] وقد استثنى الله طائفة من بني الإنسان تختلف حالهم عن حال غيرهم عند حدوث المصائب فقال تعالى: ﴿ **إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ**

مَعْلُـومٌ * لِلسَّـائِلِ وَالْمَحْـرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الــدِّينِ * وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَـــذَابِ رَبِّهِمْ مُشْـــفِقُونَ * إِنَّ عَـــذَابَ رَبِّهِمْ غَيْـــــرُ مَـــــأْمُونٍ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـــانُهُمْ فَـــإِنَّهُمْ غَيْـــرُ مَلُـــــومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِـــــكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَــــــادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَـاتِهِمْ وَعَهْـدِهِمْ رَاعُـونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِشَـهَادَاتِهِمْ قَـائِمُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَــلَاتِهِمْ يُحَـافِظُونَ * أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُـونَ * فَمَـالِ الَّذِينَ كَفَـرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴾ [المعارج: 22-36].

وإنما خصـهم الله بتلك الصـفات؛ لعظيم شـــأنها، وقـــدم وصـــفهم بالمداومة على الصلاة؛ لأنها عمود الدين، فإذا صلحت صلح سائر عمل العبـد، وإذا فسـدت فسد سـائر عملـه، فمن أقـام الصـلاة وأداها على خـير وجه ألهمه الله تعالى الصبر على المصـاب، واحتســاب الأجر والثــواب، وجعل صــبره مثقلاً لمــــيزان حســــناته، بخلاف أولئك المتسخطين الجزعين عند نـزول المصـيبة،

فهم من أبعد الناس عن الصبر والاحتساب، قـــابلوا مقـــادير الله بـــالاعتراض عليهـــا، والتسـخط منهـا، فما زادهم ذلك إلا إثمًا مع آثـامهم، وزيـاد في مصـابهم، وغـالب أولئك ممن لم يقيمــوا الصــلاة حق إقامتهــا، ولم يحـافظوا عليها بصـفتها في أوقاتهـا، وممن فرطوا في كثـير مما أمـرهم الله تعـالى به فكـــان عاقبة أمـــرهم جزعًا عند المصـــاب وحرمانًا عن كثير من الأجر والثواب.

إن النواصي بالصـــــــــــبر عموما وعند المصاب خصوصًا من صفات المؤمـنين، ولا يخفى ما للصـــــــــبر من المنزلة العظيمة والدرجة الرفيعة.

وشـواهد ذلك من القـرآن والسـنة وكلام السلف ومن جـاء بعـدهم لا يحصـيها ديـوان كاتب.

ولمزيد الفائدة فيما يتعلق بمنزلة الصــبر والصـابرين عموما عليك بـالنظر في كتـاب الإمـام ابن القيم -رحمه الله تعـالى- (عـدة الصابرين وذخيرة الشاكرين).

سـترى هنـاك ما فتح الله تعـالى به على هــذا الإمـــام الجبل من الكلام والاســتنباط

والاسترسال المفيد عن منزلة الصبر وأهله من خلال النظر في الآيات والأحاديث والآثار.

وعودًا على بدء يقال.. إن هذه الرسالة (تسلية المصاب عند فقد الأقربين والأصحاب) من هذا الباب - باب التواصي بالصبر -، وقد أجاد مؤلفها الشيخ إبراهيم بن علي بن محمد الشريم – أثابه الله تعالى – في اختياره لهذا الموضوع لعموم البلوى به، وكثرة السؤال عن حيثياته من كثير من الناس، فأجاد وأفاد في حسن صياغته لتلك المواضيع التي ضمنها في ثنايا بحثه فحوت مباحث علمية نفيسة وإشارات لطيفة مع اختصار وسهولة في اللفظ وشواهد من الكتاب والسنة والآثار والأشعار.

ومما زاد البحث قيمة أنه لم يكتف بسرد القصص والمواعظ، كغالب الكتابات في هذا الباب، بل ضمن بحثه تنبيهات علمية وعقيدة كتصحيح بعض المفاهيم أو التحذير من بعض البدع، وذكر شواهد من حياة السلف، وكيف كانوا مشاعل هدى للناس

في التعامل مع النصــوص الشــرعية، فجـاء البحث معلمًا منبهًا واعظًا.

وختامًـا.. شــكر الله للشــيخ إبــراهيم الشـــريم حسن طرحه لهـــذا الموضـــوع، وأســأل الله أن يزيــده علمًا وعملاً وتوفيقًا إنه تعـالى سـميع مجيب والحمد لله الــذي بنعمته تتم الصالحات.

د. عبد العزيز بن محمد
ابن عبد الله السدحان
24/3/1423هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصـــــحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

فإن الله جل وعلا كتب مقادير كل شيء قبل خلق الســـماوات والأرض، فكل ما هو كـائن فهو في كتـاب لا يغـادر صـغيرة ولا كبـيرة إلا أحصـاها ومنذ أن أهبط آدم من الجنة إلى هذه ألأرض – وهـذا والله أعلم – إيـذانًا ببـدء الابتلاءات والمصـائب لأنها دار البلاء والاختبـار فهو عليه الصـلاة والسـلام وذريته من بعـده معرضـون للمصـائب على تنوعها.

ومن ثم انقسم النـاس فمنهم الموفقـون الذين **إِذَا أَصَـابَتْهُمْ مُصِـيبَةٌ قَـالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُـونَ** [البقـرة: 156] فجـزاهم الله بما صـبروا إيمانا وتوفيقا وكـانت هـذه المصـــــائب ممحصة لســـــيئاتهم ورافعة لدرجاتهم.

وقسم غـير مـوفقين فبمجـرد أن تـنزل بأحـــدهم مصـــيبة إذا هو يتســخط ويجـــزع ويظهر المخالفة الشـــرعية فتجـــده يلطم

الخد ويشق الجيب وينوح على ميته ويقـول الألفـاظ الممنوعـة، فيجـره ذلك إلى الآثـام والشرور ومضاعفة المصاب.

قـال عليه الصـلاة والسـلام: **«إذا أحب الله قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط»**[1].

وإنَّ من أعظم المصـائب الـتي يبتلى بها المـرء فقـدان الأحبة والأقـربين بمـوتهم وانتقالهم عن هذه الـدار. وحيث إن الـواجب على المسـلم أن يتحلى بالصـبر في هـذه الحالة ويلتجئ إلى ربه تبارك وتعـالى ويكـثر من الذكر والاسترجاع. فقد حاولت الإسـهام في تسلية من يصاب بهذه المصائب وذكرت فضيلة الصـبر وأوردت بعض النصـوص وذكر القصص المفيـدة وبعض الأحكـام الشـرعية لأخذ العبرة والاقتداء بالسـلف الكـرام، قـال الإمام أحمد رحمه الله: **«ذكر الله سبحانه الصـبر في القـرآن في تسـعين موضعًا»**[2] وهذا يدل على فضله وأهميته.

والصبر عند أهل العلم على ثلاثة أنواع:

---

1 (?) رواه الترمذي في الزهد: باب ما جاء في الصـبر على البلاء (2396) وصـححه الألبـاني في صحيح الجامع (285، 2110).

2 (?) حاشية كتاب التوحيد (258).

1- صبر على طاعة الله عز وجل.
2- صبر عن محارم الله عز وجل.
3- صبر على أقدار الله عز وجل.

وتكلمت على النـــوع الثـــالث فقط لأن موضـوع الصـبر يحتـاج إلى أكـثر من ذلـك، وخصصت الكلام أيضًـــــــا على فقد الأحبة والأقربين.

أرجو الله جل وعلا أن تكـــــون هـــــذه الكلمـات معينة على الصـبر ومحتـذى لمن ناله شـيءٌ من الأذى والعـون والسـداد من اللـــــه، رزقنا الله العلم النـــــافع والعمل الصـالح، وجعلنا شـاكرين لنعمه مثـنين بها عليه قابليهـــا، صـــابرين على مر القضـــاء محتسبين الأجر من الله.

وصـــــلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتب

إبراهيم بن علي بن محمد الشريم

10/2/1423هـ

وجوب الإيمان بالقضاء والقدر

الإيمان بالقضـاء والقـدر ركن من أركـان الإيمـان لا يتم إيمـان العبد حـتى يـؤمن به خيره وشره، ويـدل عليه حـديث جبرائيل : **«قـال أخـبرني عن الإيمـان قـال أن تــؤمن بالله وملائكته وكتبه ورســله واليـوم الآخر وتـؤمن بالقـدر خـيره وشره»**[1].

فيجب على المسلم أن يؤمن بقضاء الله وقدره ويتقبل ذلك بـالقبول والتسـليم، وأن الله كتب مقـــــادير كل شـــــيء قبل خلق السـماوات والأرض، وأن ما شـاء الله كـان وما لم يشأ لم يكن.

والإيمــان بالقــدر يشــمل أربعة أشــياء وتسمى مراتب القدر:

* العلم: وهو أن الله ســــبحانه قد علم الأشــياء كلها وأحصــاها وأنه لا تخفى عليه خافية كما قــال ســبحانه: **إِنَّ اللَّهَ بِكُــلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** [التوبة: 115].

* الكتابــة: وهو أن الله ســبحانه قد كتب

1 (?) رواه مسلم (8).

الأشياء كما قال عز وجـل: ﴿مَا أَصَـابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِـكُمْ إِلَّا فِي كِتَـابٍ مِنْ قَبْـلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِـكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: 22].

* مشيئته النافذة: وأن ما شـاء كـان وما لم يشأ لم يكن وأنه لا يكـــون شـــيء في ملكه دون مشـــيئته جل وعلا، فله ســبحانه المشيئة الكاملة النافـذة كما قـال تعـالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: 82].

* خلقه وإيجـاده للأشـياء وقدرته عليهـا: فهو ســـبحانه الـــذي خلق جميع الأشـــياء وأوجـدها، قـال تعـالى: ﴿اللَّهُ خَـالِقُ كُـلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: 62]»[1].

فــالواجب على المســلم إذ علم أن الله قد علم الأشــياء قبل خلقها وإيجادها وكتبها وشاءها وقضاها وقـدرها أن يتحلى بالإيمـان الصــادق والصــبر على البلــوى وأن يحــذر التســخط وعـــدم الرضا حـــتى يجد حلاوة

1 (?) انظر مجمـوع مقـالات وفتـاوى سـماحة الشيخ ابن باز (3/32) وما بعدها.

الإيمان ويتلذذ بقبول قضاء الله وقدره.

قال عبادة بن الصامت : **«يا بـني إنك لن تجد طعم الإيمـان حـتى تعلم أن ما أصـــــــابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك»**[1].

قال شيخ الإسـلام ابن تيميـة: **«... وأما أهل الإيمـــان فيؤمنـــون بالقضـــاء والقـــدر، والأمر والنهي ويفعلـــون المـــأمور ويـــتركون المحظـــور ويصـبرون على المقـدور كما قـال تعالى: إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَـإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِـيعُ أَجْـرَ الْمُحْسِـنِينَ[يوسـف: 90] فـالتقوى تتنـاول فعل المـأمور وتـرك المحظـور، والصـبر يتضـمن الصـبر على المقـدور، وهـؤلاء إذا أصـابتهم مصـيبة في الأرض أو في أنفسـهم علمـوا أن ذلك في كتـاب وأن ما أصــــابهم لم يكن ليخطئهم وما أخطـــأهم لم يكن ليصــــيبهم**

---

[1] (?) رواه أبو داود في السـنن – بـاب القـدر (4/76) وصححه الألباني في مشكاة المصـابيح (1/34).

فسلموا الأمر لله وصبروا على ما ابتلاهم...»[1]. انتهى المقصود من كلامه.

فالصبر على أقدار الله من الإيمان بالله، وهذا ما بوب به شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في كتابه العظيم (كتاب التوحيد) وساق الأدلة من الكتاب والسنة على تقرير هذه المسألة، قال تعالى: **وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ** [التغابن: 11].

قال العلامة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله: **«أي من أصابته مصيبة فعلم أنها من قدر الله فصبر واحتسب، واستسلم لقضاء الله، هدى الله قلبه وعوضه عما فاته من الدنيا هُدىً في قلبه ويقينا صادقا، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه، أو خيرا منه»**.

وقال علقمة رحمه الله: **«هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم»**[2].

***

1 (?) مجموع الفتاوى (2/303).

2 (?) حاشية كتاب التوحيد (258).

الصبر عند الصدمة الأولى

عن أبي هريرة قال: مر النبي على امرأة جاثمة على قبر تبكي فقال لها: **«يا أمة الله اتقي الله واصبري قالت يا عبد الله ثكلى قال يا أمة الله اتقي الله واصبري قالت يا عبد الله لو كنت مصابًا عذرتني قال يا أمة الله اتقي الله واصبري قالت يا عبد الله قد أسمعت فانصرف عني، فمضى رسول الله واتبعه رجل من أصحابه فوقف على المرأة فقال لها: ما قال لك الرجل الذاهب قالت: قال لي كذا وكذا وأجبته بكذا وكذا قال هل تعرفينه؟ قالت: لا. قال: ذلك رسول الله قال فوثبت مسرعة نحوه حتى انتهت إليه وهي تقول: أنا أصبر أنا أصبر يا رسول الله فقال: «الصبر عند الصدمة الأولى الصبر عند الصدمة الأولى»**[1]. قال أبو

---

1 (?) أورده السيوطي في الجامع الصغير وعزاه للبزار وأبي يعلي وصححه الألباني في صحيح الجامع (3856) وبنحوه عند مسلم

عبيـد: معنـاه أن كل ذي رزية فـإن قصـاراه الصبر ولكنه إنما يحمد على صبره عند حدة المصيبة وحرارتها.

قال ابن القيم وفي الحديث أنواع العلم:

أحـدها: وجـوب الصـبر على المصـائب، وأنه من التقوى التي أمر العبد بها.

الثـــاني: الأمر بـــالمعروف والنهي عن المنكـــر، وأن ســكر المصـــيبة وشـــدتها لا يسقطه عن الآمر الناهي.

الثالث: تكرار الأمر والنهي مرة بعد مرة حتى يعذر المرء إلى ربه»[1].

والمصـــيبة تختلف عن غيرها فهي تبـــدأ كبيرة ثم تصغر، فإذا قابلها المسلم بالصــبر والاحتســاب فإنها تصــغر وتهــون وقتا بعد وقت، وإلا فإن المصاب سوف يكون مــرده إلى السُـلو عن مصـيبتة ولكن الحمد يكـون

على اختلاف في ألفاظه ح (626) كتـــــــاب الجنــائز بــاب في الصــبر على المصــيبة عند الصــدمة الأولى – وروى أصــله البخــاري في كتاب الجنـائز (3/205) مع الفتح وفي مواضع أخرى.

1 (?) عدة الصابرين (79).

لمن صبر عند الصدمة الأولى.

وإن من التسخط أن يشـتكي المـرء إلى غيره جرَاء ما أصـابه، وكأنه يشـتكي قضـاء الله وقـدره، وكـان الـواجب عليه أن يجعل شـكواه لربه عز وجـل: **قَـالَ إِنَّمَا أَشْـكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ** [يوسف: 86].

ويروى أن أحد الصـالحين سـمع رجلا يشتكي إلى أخيه فقال يا هذا واللـه مـا أردت على أن شكوت من يرحمـك إلى من لا يرحمك.

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما

تشكو الرحيم إلى الذي لا

وعن أبي أمامة عن النبي قال: يقول الله سـبحانه: **«ابن آدم إن صـبرت واحتسـبت عند الصـدمة الأولى لم أرض لك ثوابًا دون الجنة»**[1].

* * *

من يتصبر يصبره الله

عن أبي سـعيد الخـدري قـال: قـال

---

[1] (?) رواه ابن ماجه (1597) وفي الزوائـد: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

رسول الله : **«من يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد خيرًا أوسع من الصبر»**[1].

فمن تصبر صبره الله وأعانه على مقصده النبيل وكان عاقبة أمره الفلاح والجزاء الحسن: **﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** [الزمر: 10].

فالواجب على المسلم التحلي بالصبر وحث إخوانه عليه لأنه من عزم الأمور، قال تعالى حكاية عن لقمان: **﴿يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾** [لقمان: 17].

وقال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: **﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا﴾** [إبراهيم: 12].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله: قوله عليه الصلاة والسلام: **«ومن يتصبر يصبره الله»**... ثم ذكر أن الصبر

---

1 (?) رواه البخاري – الزكاة (1469) ومسلم – الزكاة (1053) باب فضل التعفف والصبر.

إذا أعطاه الله العبد فهو أفضل العطاء وأوسعه وأعظمه إعانة على الأمور قال تعالى: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ**﴾ [البقرة: 45] أي على أموركم كلها. والصبر كسائر الأخلاق يحتاج إلى مجاهدة للنفس وتمرينها فلهذا قال: **«ومن يتصبر»** أي يجاهد نفسه على الصبر **«يصبره الله»** ويعينه.

وإنما كان الصبر أعظم العطايا لأنه يتعلق بجميع أمور العبد وكمالاته، وكل حالة من أحواله تحتاج إلى صبر، فإنه يحتاج إلى الصبر على طاعة الله، حتى يقوم بها ويؤديها، وإلى صبر عن معصية الله حتى يتركها، وإلى صبر على أقدار الله المؤلمة فلا يتسخطها، بل إلى صبر على نعم الله ومحبوبات النفس، فلا يدع النفس تمرح وتفرح الفرح المذموم بل يشتغل بشكر الله، فهو في كل أحواله يحتاج إلى الصبر وبالصبر ينال الفلاح ولهذا ذكر الله أهل الجنة فقال: ﴿**وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**﴾ [الرعد: 23، 24].

وكـذلك قولـه: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَـةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الفرقـان: 75] فهم نـالوا الجنة بنعيمها وأدركـوا المنـازل العالية بالصـبر ولكن العبد يسـأل الله العافية من الابتلاء الـذي لا يـدري ما عاقبتـه، ثم إذا ورد عليه فوظيفته الصـبر فالعافية هي المطلوبة بالأصالة في أمور الابتلاء والامتحان والصـبر يؤمر به عند وجود أسـبابه ومتعلقاتـه، والله هو المعين...»[1].

وقيل للأحنـف: إنك لصـبور فقـال: **«الجـزع شر الحـالين يبعد المطلـوب ويورث الحسـرة ويبقى على صـاحبه عار الأمر بلا فائدة»**[2].

وعن عائشة رضي اللـه عنهـا قـالت: لما احتضر أبو بكر قلت:

لعمرك ما يغني الثراء عن

إذا حشرجت يومًا وضاق بها

فقـال: يـا بنيـة: لا تقـولي هكـذا ولكن قولي: ﴿**وَجَاءَتْ سَـكْرَةُ الْمَـوْتِ بِـالْحَقِّ**

---

1 (?) بهجة قلوب الأبرار (145-146).

2 (?) فيض القدير (4/298).

ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ [ق: 19]»[1].

إن الأمور إذا انسدت

فالصبر يفتح منها كل ما

لا تيأسن وإن طالت مطالبه

إذا استعنت بصبر أن ترى

أخلق بذي الصبر أن يحظى

ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

وقال سهل بن هـارون: **«التهنئة بآجل الثـــــــواب أولى من التعزية بعاجل المصيبة»**[2].

*** * ***

---

1 (?) بهجة المجالس (3/368).

2 (?) المرجع السابق (3/357).

موقف المسلم عند المصيبة

قال الله جل وعلا: ﴿**يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [البقرة: 153].

وقال سبحانه: ﴿**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾ [البقرة: 155-157].

فهذه بشارة من الله عز وجل للصابرين فهو سبحانه مع الصابرين بتأييده وحفظه وإعانته، وعليهم صلوات من الله ورحمة، وبين سبحانه أنهم من المهتدين.

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم آجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها، إلا أخلفه الله خيرًا منها»**[1].

وفي رواية قالت: قال رسول الله ﷺ:

---

1 (?) رواه مسلم – الجنائز ح(918) باب ما يقال عند المصيبة.

«إذا اصابت أحدكم مصيبة فليقل: إنا لله وإنا إليه راجعــون، اللهم عنــدك أحتسب مصـــــيبتي فـــــآجرني فيها وأبــدلني خــيرًا منها»، فلما احتضر أبو سلمة قال: **«اللهم أخلفــني في أهلي خــيرًا مــني، فلمــا قبض قــالت أم سـلمة إنا لله وإنا إليه راجعـون، عند الله أحتسب مصيبتي»**[1].

قالت: **«فلما مـات أبو سـلمة قلت: أي المســلمين خــير من أبي ســلمة أول بيت هاجر إلى رسـول الله ، ثم إني قلتها فــأخلف الله لي رســول الله »**[2].

فكــان عاقبــة صــبرها واســترجاعها أن أخلفها الله من هو خير من أبي سلمة حيث تزوجها الرسول .

---

1 (?) رواه أحمد في المسند (4/27) وأبو داود في الجنــائز (3119) بــاب في الاســترجاع والحــاكم (4/16) في المســتدرك وصــححه ووافقه الذهبي.

2 (?) رواه البخاري فتح (3/1303) واللفظ له. ومسلم (2315).

ثلاث يعز الصبر ويذهل عنها عقل
خروج اضطرار من وفرقة أخوان

عن أنس قال: لما دخل رسول الله على ابنه إبراهيم وإبراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله تذرفان فقال عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ فقال: **«يا ابن عوف إنها رحمة»** ثم أتبعها أخرى، فقال رسول الله : **«إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»**[1].

وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله : **«إذا مات ولد العبد قال الله لمائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون نعم، فيقول ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع فيقول: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسموه بيت الحمد»**[2].

---

1 (?) رواه مسلم – كتاب الجنائز ح(918) باب ما يقال عند المصيبة.

2 (?) رواه الترمذي في الجنائز (1021)

فما أحسن الصـبر إذا استحضر المصـاب ما أعده الله للصابرين.

فأنت أيها المسـلم لو تـأملت وما وعـدك به ربك جل وعلا من عظيم الأجر والثـــواب لكان ذلك معينًا لك على الصبر الجميل فما جزاء من صبر عند فقد أحد أصفيائه؟!

عن أبي هريـرة أن رسـول الله قـال: **«يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة»**[1]**.**

ومهما صغرت المصيبة أو كبرت فـإن لها مـيزان عظيم، والله عز وجل (لا يضـيع أجر من أحسن عملا). ففضله واسع، وعطاؤه لا يغيض، وكم من صـابر على مصـيبة صـغيرة حصَّـــل بصـــبره الحســـنات العظيمة وأدرك بصبره الدرجات الرفيعة.

عن عائشة رضي الله عنها قـــالت: قـــال رســـول الله : **«ما من مصـــيبة تصـــيب المســـلم إلا كفر الله بها عنه حـــتى**

وحســنه ألألبــاني في السلســلة الصــحيحة (1408) وصحيح الجامع (795).

1 (?) رواه البخاري مع الفتح 11 (6424).

الشوكة يشاكها»[1].

وفي حـديث أبي هريـرة : **«ما يصـيب المســلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حـــزن ولا أذى ولا غم حـــتى الشوكة يشــاكها إلا كفر الله بها من خطاياه»**[2].

يقــول العلامة الســعدي رحمه اللــه: «ومتى اعتمد القلب على الله، وتوكل عليه ولم يستسـلم للأوهـام ولا ملكته الخيـالات الســيئة، ووثق باللــه، وطمع في فضــله، انـدفعت عنه بـذلك الهمـوم والغمـوم وزال عنه كثــير من الأســقام البدنية والقلبيــة، وحصل للقلب من القـــوة والانشــــراح والسرور ما يمكن التعبير عنه....»[3]. انتهى المقصود من كلامه.

---

1 (?) رواه البخـــاري – كتـــاب المرضى ح(5640)، ومسلم (2572) كتاب الـبر والصـلة والآداب.

2 (?) رواه البخاري – كتاب المرضى ح(5641) وبنحوه عند مسلم (2573) كتاب البر والصلة والآداب.

3 (?) الوسائل المفيدة – مطبوع ضمن مؤلفاته (2/491).

وعن أســــامة بن زيد رضي الله عنهما قـال: أرسـلت ابنة النـبي إليه أن ابنًا لي احتضر فأتنا، فأرسل يقريها السلام ويقـول: إنَّ لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شــــيء عنــده بأجل مسـمى فلتصـبر ولتحتسـب، فأرســـلت إليه تقسم عليه ليأتينها فقـــام ومعه سـعد بن عبـادة ومعـاذ بن جبل وأبيُّ بن كعب وزيد بن ثـــابت ورجـــال، فرفع الصبي إلى رسول الله فأقعده في حجره ونفسه تقعقع كأنها شـــنٌّ، ففاضت عينـــاه فقـال سـعد: يا رسـول الله ما هـذا؟ قـال: **«هــذه رحمة جعلها الله في قلــوب من يشاء من عباده، وإنما يـرحم الله من عباده الرحماء»**[4].

فهذا هـو الموقـف الـذي ينبغي أن يقفـه المســلم اقتــداء بــالنبي فلا جــزع ولا تســـخط ولا كلام مـــذموم ولا شـــق للجيــوب ولطم للخــدود كحــال أهــل الجاهليـــة، بـــل صــــبر واحتســـاب

---

4 (?) رواه البخاري في الجنـائز (3/124/126) ومسلم في الجنائز ح(923) بـاب البكـاء على الميت.

واستر جاع.

صبرت فكان   **وهل جزع يجدي**

ملكت دموع العين   **إلى ناظري**

ولعل من الحكمة – والله أعلم – حين أخذ النبي ﷺ هؤلاء الأجلَّة من الصحابة أن يربيهم التربية العملية وهي مشاهدة المحتضر ومعاينة ما يقاسيه من سكرات الموت، وأن هذه الضجعة سوف يضجعونها لا محالة، فيستفيدون من ذلك الشيء الكثير ويستعدون لما أمامهم، فينبغي على المسلم إذا سمع أن أحد أصدقائه يحتضر أو أحد أقاربه أن يجلس عنده ويلقنه الشهادة ويرغبه بما عند الله ويحضه على حسن الظن بالله وأنه قادم على أرحم الراحمين، وأن من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، وفي المقابل هو أيضًا يستفيد من مشاهد هذه الحالة بالتوبة النصوح والعمل الصالح والإقبال على الله، والتوفيق بيد لله.

الحذر من الاعتراض على قضاء الله

في الحديث: **«إذا أحب الله قومًا**

ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط»[1]. فعلامة رضا الله عز وجل عن عبده أن يصبر عند البلوى، وعلامة السخط أن يسخط العبد إذا ابتلي، ولا تظن أيها المسلم أن تحصيل الصبر غير ممكن بل هو من أيسر الأشياء إذا كان عندك الإيمان الصادق والبصيرة النافذة والعمل الصالح والعلم النافع.

يقول ابن القيم رحمه الله: **«والصبر وإن كان شاقًا كريهًا على النفوس فتحصيله ممكن، وهو يتركب من مفردين العلم والعمل...»**[2].

واعلم بارك الله فيك أنك عند المصائب بين خيارين وضدين، إما صبر واحتساب يعقبهما الرضا من الله عز وجل، وإما جزع وتسخط يعقبهما السخط من الله تبارك وتعالى.

فأنت بإيمانك وصدق عزيمتك لا أخالك ترغب عما أمرك الله به وهو الصبر، وتقتحم ما نهاك عنه وحذرك منه وهو السخط، فاصبر

---

1 (?) تقدم تخريجه.

2 (?) عدة الصابرين (56).

وتأمل العـواقب، وتأمل قـول أهل النـار عيـاذًا بالله من حالهم: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ [إبراهيم: 21].

فكـذلك كل ما قـدره الله عليك كـائن لا محالة، ولا يرده جزع ولا تسخط، والمصاب حقيقة من حرم الثواب، وجاء في الحـديث: **«النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقـام يـــوم القيامة وعليها ســـربال من قطران ودرع من جرب»**[1]، فهي بـذلك جمعت بين السخط الذي لا يقـدم ولا يـؤخر وبين العذاب في الآخرة، ولو صبرت لنـالت فضيلتين الصبر والرضا والثواب الجزيل، بل ورد في الحـــديث: **«إن الميت يعـــذب ببكـــاء أهله عليه»**[2]، والمقصـــود ليس مطلق البكاء بل بكاء خاص وهو النياحة.

فلا يليق بالمسلم أن يجزع فيضر نفسـه، ويلحق الضرر بأخيه المسلم وهو في قبره، في وقت يلتمس من إخوانه المســلمين أن

---

1 (?) رواه مســلم (1/58) كتــاب الجنــائز ح (934) باب التشديد في النياحة.

2 (?) رواه البخاري (3/128) ومسلم ح (927) الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

يسدوا له أقلَ الأعمال الصالحة.

واختلف العلمــاء كيف يُعَــذَّبُ والله جل وعلا يقـول: **﴿وَلَا تَـزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْـرَى﴾** [الأنعام: 164].

قــال الألبــاني رحمه اللــه: وقد اختلف العلمــاء في الجــواب عن ذلك على ثمانية أقوال وأقربها إلى الصواب قولان:

الأول: ما ذهب إليه الجمهـــــــور وهو أن الحــديث محمــول على من أوصى بــالنوح عليه، أو لم يوص بتركه مع علمه بأن النـاس يفعلونه عادة.

والآخــر: أن معــنى (يُعَــذَّبُ) أي يتــألم بسماعه بكاء أهله ويـرقُ لهم ويحـزن وذلك في البرزخ، وليس يوم القيامة»[1].

ويجب على من حضر وفـــاة أخيه أن لا يدعو إلا بخـير لأن الملائكة يُؤَمِّنُـونَ على ما يــدعو بــه، عن أم ســلمة رضي الله عنها قـالت: **«دخل رسـول الله ﷺ على أبي سـلمة وقد شـقَّ بصـره فأغمضه ثم قال: إن الروح إذا قُبِضَ تبعه البصر»**

---

[1] (?) أحكـام الجنـائز وبـدعها (41) وانظر كلام ابن القيم في تهذيب السنن (293-4/290).

فضج نـــاس من أهله فقــال لا تـــدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولــون، ثم قـال: **«اللهم اغفر لأبي سـلمة وارفع درجته في المهـديين واخلفه في أهله في الغـابرين واغفر لنا وله يا رب العـالمين وأفسح له في قبره ونَوِّر له فيه»**[1].

ثم احذر - أيها المسلم – كلمة (لو) فإنها من عمل الشـيطان قـال عليه الصـلاة والسـلام: **«احـرص على ما ينفعك واسـتعن بالله ولا تعجز وإن اصـابك شـيء فلا تقـل: لو أني فعلت كـذا لكـان كـذا وكـذا ولكن قل قَـدَّرَ الله وما شـاء فعل فـإن لو تفتح عمل الشيطان»**[2]، فإذا أصبت بمصيبة كحـادث سـيارة أو حريق ونحـوه، فلا تفتح على نفسك بابًا للشـيطان فتقـول: لو أنه لم يـركب السـيارة لما حصل الحـادث وهكـذا، لما فيه من الاعـتراض على القـدر، وإنما

---

1 (?) رواه مسلم كتاب - الجنائز ح(920) بـاب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر.

2 (?) رواه مسلم في الزهد (4/2295).

عليك التسليم بما حصل واليقين بأن ما حصل لابد من وقوعه، قال السعدي رحمه الله: **«إذا أصاب العبد ما يكرهه فلا ينسب ذلك إلى ترك بعض الأسباب التي يظن نفعها لو فعلها، بل يسكن إلى قضاء الله وقدره فيزداد إيمانه ويسكن قلبه، وتستريح نفسه، فإن لو في هذه الحال تفتح عمل الشيطان بنقص إيمانه بالقدر واعتراضه عليه وفتح باب الهَمِّ والحزن المضعف للقلب»**[1].

مواقف في الصبر

كان الصحابة والتابعون وسادات الأمة لهم مواقف ذات عجب، يتحير عندها أولوا الألباب، فإذا نزل بأحدهم مصيبة فإذا هو يضرب أروع الأمثلة بصبره وحزمه وتجلده حتى إنه ليَعْجَبُ الحليم ولسان حاله يقول سبحان من رزقهم تلك العقول ووهبهم

---

[1] (?) بهجة قلوب الأبرار (39-40) وانظر التفصيل المهم لاستعمال (لو) في فتاوى الشيخ محمد ابن عثيمين رحمه الله (3/127).

الإيمــان والصــبر، فهم يقــابلون المصــيبة الداهية بما أمــرهم ربهم تبــارك وتعــالى فتتحـول إلى أمر يسـير فما أجمل الاقتـداء بهم، وما أحسن النظر في ســـيرهم وتتبع أحـــوالهم الـــتي هي مدرسة تقتبس منها الآداب والأخلاق الفاضلة.

عن أنس قــال: **«اشــتكى ابن لأبي طلحة فمـات وأبو طلحة خـارج، فلما رأت امرأته أنه قد مــات هيَّأت شــيئًا وسجته في جـانب الـبيت، فلما جـاء أبو طلحة قـال: كيف الغلام؟ قـالت: قد هـدأت نفسه وأرجو أن يكـون قد اســـــــتراح، فظن أبو طلحة أنها صادقة، قالت فبات معها، فلما أصبح اغتسل فلمَّا أراد أن يخـــرج أعلمته أنه قد مات فصـلى مع رسـول الله ثم أخـــبره بما كــان منهما فقـــال رسـول الله : «لعـلَ الله أن يبـارك لكما في ليلتكما»**، قال ابن عيينة: فقال رجل من الأنصــار: فــرأيت له تســعة أولاد

كلهم قد قرأ القرآن»[1].

فما أعقل هذه المـرأة – أم سـليم – وما أشد تجلـــدها وصـــبرها، وفق الله نســـاء المسـلمين للاقتـداء بها وبنسـاء الصـحابة ورزقهن الستر والعفاف.

ويُـــروى أن أبا بكر الصـــديق مـــرض فعادوه فقالوا ألا ندعو لك الطبيب؟ فقـال: قد رآني الطـبيب، قـالوا: فـأي شـيء قـال لك؟ قال: إني فعَّال لما أريد»[2].

وكان محمـد بن شـبرمة إذا نـزل بـه بلاء قال: «**سحابة صيف ثم تنقشع**»[3].

إني رأيت وفي **للصبر عاقبة**
[illegible]
وقل من جدَّ في **واستصحب الصبر**
[illegible]

ومـــــات ابن للحســـــين بن عبد العزيز المـــــروزي فقـــــال لأمـــــه: «**اتقي الله واحتسبيه واصبري فقالت: مصـيبتي أعظم من أن أفسدها بالجزع**»[4].

---

1 (?) رواه البخـاري: بـاب من لم يظهر حزنه عند المصيبة فتح (3/201).

2 (?) رواه أحمد.

3 (?) عدة الصابرين (96).

4 (?) عدة الصابرين (299).

وقيل للأحنـف: **«إنك لصـبور فقـال الجـزع شر الحـالين يبعد المطلـوب ويورث الحسـرة ويُبقي على صـاحبه عار الأمد بلا فائدة»**. وعن أنس قـال: **«أصـيب حارثة يـوم بـدر وهو غلام فجـاءت أمه إلى النـبي فقـالت: يا رسـول الله قد عـرفت منزلة حارثة مـني، فـإن يكن في الجنة أصـبر وأحتسب وإن تكن الأخـرى تـرى ما أصنع؟ فقال: «ويحك - أو هبلت - أو جنة واحـدة هي؟ إنها جنـان كثـيرة وإنه لفي الفردوس»**[1].

قـال سـليمان بن القاسـم رحمـه اللـه: **«كل عمل يعرف ثوابه إلا الصبر قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْـرِ حِسَـابٍ﴾ [الزمـر: 10]. قـال: كالماء المنهمر»**[2].

أما والذي لا خلد **ومن ليس في**

لئن كان بدء الصبر **لقد يجتنى من**

---

1 (?) رواه البخاري (6550).

2 (?) عدة الصابرين (96).

وقــال الأوزاعي في قوله تعــالى: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَـابٍ...**﴾ ليس يـوزن لهم ولا يكـال لهم إنما يغـرف لهم غرفا»[1].

وقــال عمر : **«وجـدنا خـير عيشـنا بالصبر»**[2].

قـال لقمـان لابنـه: **«أوصـيك بخصـال تقربك من الله وتباعدك من سخطه: أن تعبد الله ولا تشرك به شـيئا، وأن ترضى بقـــــــــدر الله فيما أحببت وكرهت»**[3].

وهذا غيض من فيض في مواقف السلف رحمهم الله عند المصـــائب فبهم يُقتـــدى وعلى نهجهم يحتـــذى فـــالخير كـــامنٌ في سـيرتهم ومـواقفهم لأنهم أخـذوا بحظ وافر من مـيراث النـبي يقـول ابن القيم: **«... وبالجملة فعاداتهم - يعني السـلف - أنهم لم يكونـوا يغـيرون شـيئا من زيهم قبل المصـيبة ولا يـتركون ما**

---

1 (?) رواه أحمد.

2 (?) عدة الصابرين (96).

3 (?) عدة الصابرين (100).

كـــانوا يعملـــون فهـــذا كله منـــاف للصبر»[1]. رزقنا الله الاقتداء بهم والســير على نهجهم.

---

1 (?) المرجع السابق (100).

الكل مبتلى

فمنذ أن خلق الله أبانا آدم عليه الصــلاة والســلام والمصــائب والأحــزان والابتلاءات تـــــــــرد عليه وعلى زوجه ثم على ذريتهما وهكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فـآدم بعد أن كـان هو وزوجه في الجنة ينعمان، وسوس لهما الشيطان فكان ســببًا في إخراجهما منها ثم أهبط إلى الأرض وأهبط معهما عـــــدوهما رأس المصـــــائب وداعية الشر الذي أقسم بعـزة الله ليغـوين ذرية آدم: **قَـــالَ فَبِعِزَّتِـــكَ لَأُغْـــوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَـادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِـينَ** [ص: 82، 83].

فـــأيُّ مصـــيبة وأيُّ حســـرة أعظم من مصيبة آدم عليه الصلاة والسلام الـذي كـان في الجنة ثم يُهْبَـطُ منها إلى دار المصـائب والأحــزان ومع ذلك كله صــبر عليه الصــلاة والسلام هو وزوجه وكان أهم شيءٍ عندهما أنْ يرضى عنهما ربهما تبارك وتعالى: **قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَـــنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِـــرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُـــــونَنَّ مِنَ الْخَاسِـــــرِينَ** [الأعراف: 23].

ثم يستمر الشـيطان الـرجيم في الغواية وإلحاق الضرر إلى بني آدم فيغوي أحــدهما بقتل أخيه فيقتله[1]، وهـــــذا ديدنه في كل عصر ومصر ففي كل شر له نصـــيب وفي كل تقصــــير له حظ أعاذنا الله منه وكفانا شره ووسوسته.

وكـذلك أنبيـاء الله ورسـله عليهم الصـلاة والسلام تعرضوا لكثير من المصائب ولكنهم صابرون محتسبون لا تتغـير أحـوالهم إلا إلى الخير ولا تنقص أعمالهم الصـالحة، بل كـانوا يســتعينون عليها بالصــبر والصــلاة تحقيقًا لقوله تعالى: **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ**

---

[1] (?) يذكر في بعض كتب قصص الأنبياء أن آدم حــزن لمقتل ابنه وأنه بكى طــويلاً ورثى ابنه بأبيات منها:

تغـــــــــــــــــيرت البلاد ومن عليها
فوجـــــــه الأرض مغـــــــبرٌ قـــــــبيح
تغـــــــير كـــــــل ذي لـــــــون وطعم
وقـــــــل بشاشـــــــة الوجـــــــه المليح

وأن الشــيطان رد عليهم وهــذه القصة باطلة وهي من الإسرائيليات، انظر لزامًا كتــاب آراء خاطئة وروايـــــات باطلة (48) للشـــيخ عبد العزيز السدحان حفظه الله.

﴾ [البقرة: 45].
فخيرهم وأفضلهم نبينا محمدٌ عليه الصلاة والسلام إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة فلطالما وجد راحته فيها.
وثَمَّ أمرٌ بالغ الأهمية وهو أنَّ المصائب وفجائع الزمان أنواع مختلفة فبعضها تكون في النفس وبعضها في الأهل وبعضها في الأولاد وبعضها في الأموال، ولكن قاصمة الظهر والفاجعة الحقيقية هي التي تكون في الدِّين – نسأل الله العافية والسلامة – وكان من دعائه ﷺ: **«ولا تجعل مصيبتنا في ديننا»**[1].
قال شريح رحمه الله: **«مما أُصيب عبدٌ بمصيبة إلا كان لله فيها ثلاث نعم: ألا تكون في دينه، وألا تكون أعظم ما كانت، وأنها لا بد كائنة فقد كانت»**[2].
ومما قاله أبو البقاء الرندي في رثاء

---
1 (?) رواه الترمذي (5/493) ح(3502) وحسنه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (1268).
2 (?) عدة الصابرين (121).

الأندلس:

فجائع الدهر ألوان ... وللزمان مسرات

وللحودات سلوان ... وما لما حل

ومما يــؤثر عن ابن مســعود أنه قــال: **«لكل فرحة ترحـــــــه، وما ملئ بيت فرحًا إلا ملئ ترحًا»**[1]. وكتب عمر ، لأبي موسى الأشعري : (أما بعد فإن الخير كله في الرضا فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر)»[2].

ومن نظـــر في أحـــوال المســـلمين اليـــوم وطـــالع كيـــف تـــنزل البلـــوى والمصــــــائب بهم، وكيـــــف يُحصـــــدُ المسلمون جماعات وفـرادى، وتُصـفَّى جموعهم، وتُهدَم ديارهم، فإنــه يعلم أن ما نزل به من مصيبة لا تساوي مصائب المسـلمين لأنــه قــد يفقــد شخصًــا أو شخصين لكن غــيره يتســاقطون هلكى جماعة بعد جماعة، نسأل الله أن يرفـع عن إخواننا المسلمين الضر والبلاء وأن

---

1 (?) زاد المعاد (4/190).

2 (?) مدارج السالكين (2/185).

ينصـــرهم في كـــل مكـــان وأن يجعـــل الدائرة على أعدائهم وأن يجعلنا آمنين، ويحفظنـا وإيـاهم من كـل شـر وكيـد، والله المستعان.

يجري القضاء — **لمؤمن واثق بالله**

إن جاءه فرح أو — **في الحالتين يقول**

ويروى أن الإسكندر لمـا حضـرته الوفـاة كتب إلى أمـه أن اصـنعي طعامًـا يحضـره النـاس ثم تقـدمي إليهم أن لا يأكـل منـه محزون، ففعلت، فلم يبسط أحد إليـه يـده، فقـالت: مـا لكم لا تـأكلون؟! فقـالوا: إنـك تقدمت إلينا أن لا يأكل منه محـزون، وليس منـا إلا من قـد أصـيب بحميم أو قـريب!! فقالت: مات والله ابني وما أوصى إليَّ بهذا إلاَّ ليعزيني به [1].

شيئان لو بكت — **عيناك حتى يأذنا**

لم يبلغا المعشار — **فقد الشباب**

* * *

---

1 (?) العقد الفريد (3/233).

بشرى للصابرين

قال تعالى: **﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾** [البقرة: 155-157].

قال عمر بن الخطاب : **«نعم العدلان ونعمت العلاوة ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ فهذان العدلان ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ فهذه العلاوة وهي ما توضع بين العدلين وهي زيادة في الحمل فكذلك هؤلاء أعطوا ثوابهم وزيدوا أيضًا»**[1].

وعن أبي هريرة أن رسول الله قال: **«ما يزال المؤمن يصاب في ولده وحامَّتِه حتى يلقى الله وليست عليه خطيئة»**[2] – حَامَّتِه – قرابته وخاصته،

---

1 (?) تفسير القرآن العظيم (1/203) وانظر صحيح البخاري (3/205) مع الفتح.

2 (?) رواه مالك في الجنائز ح40 (1/236) وأخرجه بنحوه الترمذي (2401) وصححه الألباني في صحيح الجامع (5815).

وعنه أن رسـول الله قـال: **«لا يمـوت لأحد من المســـلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم»**[1].

ولا شــك أن المصــيبة بتنوعهــا لهــا غصص ومرارة ومقابلتها بالصبر يحتــاج إلى إيمان واحتساب لكن من نظـر إلى العـواقب الحميـدة الـتي ينالهـا بالصـبر صار الصبر عنده أحلى من العسل.

الصبر مثل اسمه ... لكن عواقبه أحلى

وعنه أن رسول الله قـال لنسـوة من الأنصــار: **«لا يموت لإحـداكن ثلاثة من الولد فتحتســـــبه إلا دخلت الجنـــــة. فقـــالت امـــرأة منهن: أو اثـــنين يا رسول الله؟! قال أو اثنين»**[2].

ويقـول ابن كثـير رحمه الله في قولـه: **الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِـيبَةٌ قَـالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** [البقـرة: 156] قـال أي تسلَّوا بقولهم هذا عما أصابهم وعلموا أنهم

---

1 (?) رواه البخـاري – كتـاب الجنـائز (1249) ومسلم – البر والصلة (2632) واللفظ له.

2 (?) رواه البخـاري – كتـاب الجنـائز (1249) ومسلم – البر والصلة (2632) واللفظ له.

ملك لله يتصرف في عبيده بما شاء وعلموا أنه لا يضــيع لديه مثقــال ذرة يــوم القيامة فأحــدث لهم ذلك اعــترافهم بــأنهم عبيــده وأنهم إليه راجعون في الدار الآخرة)»[1].

وحُكيَ أن أعرابية دخلت من الباديـــــة، فسـمعت صـراخًا في دار فقـالت: ما هـذا؟ فقيل لها: مات لهم إنسان.

فقالت: ما أراهم إلا من ربهم يستغيثون، ومن قضائه يتبرمون، وعن ثوابه يرغبون.

وعن أبي هريـرة قـال: أتت امـرأة إلى النبي بصبي لها فقـالت: يا نـبي اللـه! ادع الله له فلقد دفنت ثلاثة، قال (دفنت ثلاثة؟) قالت نعم. قال: **«لقد احتظرت بحظـار شــديد من النــار»**[2]. وورد في أجر من فقد ولدين وولد واحد مثل ذلك.

وقال العلامة الشـوكاني رحمـه اللـه في تفســـير قولـــه تعـــالى: **إِنَّمَا يُـــوَفَّى الصَّـــابِرُونَ أَجْــرَهُمْ بِغَيْــرِ حِسَــابٍ** [الزمر: 10]: «... والحاصل أن الآية تدل

---

1 (?) تفسير القرآن العظيم (1/198).

2 (?) رواه مسلم – كتاب البر والصلة والآداب – ح (26360).

على ثواب الصابرين وأجـرهم لا نهايـة له، لأن كل شيء يدخل تحت الحسـاب فهـو متنـاه، ومـا كـان لا يـدخل تحت الحساب فهو غير متنـاه، وهـذه فضـيلة عظيمة ومثوبة جليلـة تقتضـي أن على كل راغب في ثواب اللـه وطـامع فيمـا عنده من الخير أن يتـوفر على الصـبر، ويزم نفسه بزمامه ويقيدها بقيده فـإن الجزع لا يرد قضاء قـد نـزل، ولا يجلب خيرًا قـد سُـلب، ولا يـدفع مكروهًـا قـد وقع، وإذا تصور العاقل هذا حق تصوره وتعقله حق تعقله علم أن الصـابر على ما نزل به قد فـاز بهـذا الأجـر العظيم، وظفـر بهـذا الجـزاء الخطـير، وغـير الصابر قد نزل به القضاء شـاء أم أبى، ومـع ذلـك فاتـه من الأجـر مـا لا يقـادر قدره ولا يبلغ مداه، فضـم إلى مصـيبته مصيبة أخـرى ولم يظفـر بغـير الجـزع، وما أحسن قول من قال:

أرى الصبر **فكيف إذا لم يكن**

هناك يحق الصبر **(1)**

ومن أعظم البشارات لمن أصيب بمصيبة فذكرها بعد مدة طويلة فجدد لها استرجاعًا وصبرًا، ماله عند الله من الأجر كلما ذكرها واسترجع.

فعن الحسين بن علي رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **«ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة فيذكرها وإن طال عهدها -قال عبَّاد: قدم عهدها- فيحدث لذلك استرجاعًا، إلا جدد الله له عند ذلك، فأعطاه مثل أجرها يوم أثيب بها»**[1]، وفضل الله واسع ورحمته بلغت كل شيء.

* * *

المصيبة العظمى

المصائب ألوان بعضها أعظم من بعض، فبعضها تمر على المرء وفيها نوع من السهولة، وبعضها يحار العقل ويتمنَّع في قبولها وخصوصًا إذا كانت تتعلق بملاك

---

1 (?) فتح القدير (4/454).

1 (?) رواه أحمد في المسند (1/201) وفي سنده هشام بن زياد قال في التقريب ص(572) رقم (7292) (متروك).

الحياة وزمام الأمر، وبـأهم شـيء في حيـاة المسلم وهي المصيبة في الدِّين.

وإذا كانت المصائب لا بد واقعة لأن اللــه عــز وجــل قــد كتبهــا على خلقــه، فينبغي التأهب لها والاستعداد لتقبلها بنفس راضـية بقضاء اللـه، طامعـة بثوابـه وذلـك بتـوطين النفس على قبولها، وإنَّ من أعظم التـأهب لهـا تـذكر مصـاب الصـحابة رضـوان اللـه عليهم بوفـاة سـيد الخلـق نبينـا محمـد ﷺ، فواللـه الـذي لا إلـه غـيره إنهـا أعظم المصـائب أن يفقـد المسـلمون خليلهم ونبيهم الذي ما عرفوا النـور والحـق إلا بعد مبعثه، وكل فضل من وقته إلى أن تقوم الساعة فهو بسـببه عليـه الصـلاة والسلام.

إن الخلائق يوم   نظر الإله لها

فبعد أن كـانوا في جاهلية جهلاء يعبـدون الأصنام والأوثان ويئـدون البنـات بغـير ذنب ويستحلون الحرمات ويتنــاحرون فيما بينهم لأتفه الأسـباب، بعث الله إليهم هـذا النـبي الكــريم عليه الصــلاة والســلام، فتبــدلت

أحـــوالهم، وزكت نفوســـهم، واســـتنارت بصائرهم واجتمعـوا بعد الفرقـة، وغنـوا بعد العيلة وتحــابوا بعد التبــاغض، وبين عشــية وضحاها ينزل بالرسول الموت ويسـتجيب لنداء ربه، فيختار لقاء ربه.

عن ابن مســعود قــال: **«دخلت على النـبي وهو يوعك فمسسـته فقلت يا رســـــــول الله إنك لتوعك وعكًا شـــديدًا. قـــال أجل إني أوعك كما يوعك الـــرجلان منكم، قلت: إن لك أجــرين. قــال: نعم، والــذي نفسي بيــده ما على الأرض مســلم يصــيبه أذىً من مرض فما سواه إلا حط الله عنه خطايــــاه كما تحط الشــــجرة ورقها»**[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قـــــــالت: **«مــات رســول الله بين حــاقنتي وذاقنتي، فلا أكره شـدة المـوت لأحد**

---

[1] (?) رواه البخـــاري – كتـــاب المرضى ح (5648)، ومسلم – كتاب البر والصلة والآداب ح(2569).

بعد رسـول الله ﷺ»[1]، وعن أبي سـعيد الخـدري ؓ: أن رسـول الله ﷺ جلس على المنبر فقـال: **«إن عبـدًا خـيرًه الله بين أن يؤتيه من زهـرة الـدنيا وبين ما عنـده فاختـار ما عنـده فبكى أبو بكر وقال فديناك بآبائنا وأمهاتنا، فعجبنا له فقـال النـاس: انظـروا إلى هـذا الشـيخ يخـبر رسـول الله ﷺ عن عبد خيَّره الله بين أن يؤتيه من زهـرة الـدنيا وبين ما عنـده وهو يقـول فديناك بآبائنا وأمهاتنا فكان رسـول الله ﷺ هو المُخَيَّر وكـان أبو بكر هو أعلمنا بـه، وقـال رسـول الله ﷺ: «إن من أَمَنِّ النـاس عليَّ في صـحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخـذًا خليلاً من أمـتي لاتخـذت أبا بكر إلا خلة الإسلام، لا يبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر»**[2].

وعن أنس ؓ قـال: **«لما ثقل النـبي ﷺ**

---

1. (?) رواه البخاري كتاب المغازي ح(4446).
2. (?) رواه البخـاري مع الفتح 7 (39040) ومسلم (2382).

جعل يتغشاه فقالت فاطمة واكرب أباه، فقال لها: ليس على أبيك كرب بعد اليوم، فلمَّا مات قالت: يا أبتاه أجاب ربًا دعاه، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه، فلما دُفِن قالت فاطمة: يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله التراب»[1].

ورواه ابن ماجه مختصرًا من حديث حماد بن زيد، وعنده قال حماد: فكان ثابت إذا حدث بهذا الحديث بكى حتى تختلف أضلاعه[2].

وعن أنس قال: لما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء قال: وما نفضنا عن رسول الله الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا [3].

---

1 (?) رواه البخاري – كتاب المغازي ح(4462).

2 (?) رواه ابن ماجه – كتاب المغازي ح(1630).

3 (?) رواه أحمد (3/221-268) وقال الحافظ بن كثير: إسناده على شرط الشيخين، البداية والنهاية (5/239) وقال محقق المسند:

وقال محمد بن إسحاق قالت عائشة فيما بلغني عنها: **«لما توفي رسول الله ﷺ ارتدت العرب، واشرأبت اليهودية والنصرانية ونجم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم حتى جمعهم الله على أبي بكر ؓ»**[1].

وما أجسن هذا التصوير لحال الصحابة ؓ وهُمْ مَنْ هُمْ في الإيمان والمتابعة والصلابة في الحق، فإذا استشعر المصاب حال الأصحاب ؓ وتذكر هذه المصيبة العظيمة – فقد النبي ﷺ - فلا ريب أن مصيبته ستهون عليه، ويسلو عنها بتذكر المصاب الجلل الذي لا يلحقه مصاب مثله.

وجاء في الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال: **«لِيُعزَّ المسلمين في**

إسناده قوي على شرط مسلم (1/330) ط وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

1 (?) السيرة النبوية (4/665) ط مؤسسة علوم القرآن البداية والنهاية (5/244).

مصائبهم المصيبة بي»[1].

إذا نزلت بساحتك الرزايا | **فلا تجزع لها جزع الصبي**
فإن لكل نازلة عزاء | **بما قد كان من فقد النبي**

فكل مصيبة تهـون، وكل نازلة تسـهل إذا قارنتها بهذا المصـاب الكبـير وهو فقد سـيد الأولين والآخرين وأكرم الخلق على الله ﷺ.

وعن عائشة رضي الله عنها قـالت: فتح رسـول الله ﷺ بابًا بينه وبين النـاس – أو كشف سترًا – فإذا الناس يصـلون وراء أبي بكر فحمد الله على ما رأى من حسن حـالهم رجـاء أن يخلفه فيهم بالـذي رآهم فقـال: **«يا أيها النـاس أيما أحد من النـاس أو من المؤمـنين أصـيب بمصـيبة فليتعـزَ بمصـيبته بي عن المصـيبة الـتي تصـيبه بغـيري، فـإن أحـدًا من أمـتي لن يصـاب بمصـيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي»**[2].

---

1 (?) رواه مالك في الموطأ – كتـاب الجنـائز (12/236) وصححه الألباني في صحيح الجـامع (5459).

2 (?) رواه ابن ماجه (1/485) وصححه الألباني في السلسـلة الصـحيحة (1106) بشـواهده

* وقال أبو العتاهية مسليًا لبعض إخوانه في ولد له اسمه محمد:

اصبر لكل مصيبة ... واعلم بأن المرء

أو ما ترى أن ... وترى المنية للعباد

من لم يصب ممن ... هذا سبيل لسست

فإذا ذكرت محمدًا ... بالنبي محمد[1]

وقد رُثي رسول الله ﷺ بقصائد كثيرة وكلها معبرة عن بالغ الحزن والأسى على فقد هذا النبي الكريم ﷺ وكان ممن رثاه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ؓ بقوله:

أرقت فبات ليلي ... وليل أخي المصيبة

وأسعدني البكاء ... أصيب المسلمون

لقد عظمت ... عشية قيل قد

وأضحت أرضنا ... تكاد بنا جوانبها

فقدنا الوحي ... يروح به ويغدو

وذاك أحق ما ... نفوس الناس أو

ومجموع طرقه، قال: وبالجملة فالحديث بهذه الشواهد صحيح.

1 (?) غذاء الألباب- للسفاريني (2/355).

نبي كان يجلو **بما يوحى إليه وما**

ويهدينا فلا تخشى **علينا والرسول لنا**

أفاطم إن جزعت **وإن لم تجزعي**

فقبر أبيك سيد **وفيه سيد الناس**

وقال حسان بن ثابت :

بطيبة رسم **الرسوم وتهمد** [1]

ولا تمتحي [2] **بها منبر الهادي**

وواضح آيات **وربع**[3] **له فيه**

بها حجرات كان **من الله نور**

معارف لم تطمس **منها تجدد** [4]

عرفت بها رسم **وقبرا به واراه في**

ظللت بها أبكي **عيون ومثلاها من**

تذكَرن آلاء **فنفسي تبلد** [5]

[6] **فقد أحمد** **فظلّت لآلاء**

---

1 (?) انظر البداية والنهاية (8/175/176).

2 (?) تمتحي: تمحَى، أي يــذهب أثرهــا. انظر اللسان (م ح و).

3 (?) الربع: الدار. وما حوله والمــنزل. والحي: انظر الوسيط (ر ب ع).

4 (?) تطمس تغير. وآيها: علاماتها. انظر شــرح غريب السيرة 3/181. وتجدد: تتجدد.

5 (?) تبلد: تتحير.

6 (?) شفها: أضعفها وبالغ فيها.

وما بلغت من كل … ما قد توجَد[1]
أطالت وقوفًا … على طلل[2] القبر
فبوركت يا قبر … بلاد ثوى فيها
وبورك لحد منك … عليه بناء من
تهيل عليه الترب … عليه وقد غارت
لقد غيبوا حلمًا … عشية علَّوه الثرى
وراحوا بحزن ليس … وقد وهنت منهم
يبكَّون من تبكي … أكمد[3]
وهل عدلت يومًا … رزية يوم مات فيه
تقطع فيه منزل … يغور وينجد[4]
يدل على الرحمن … وينقذ من هول
إمام لهم يهديهم … معلم صدق إن
عفو عن الزلات … وإن يحسنوا فالله

---

1 (?) العشير: العشر. وتوجـد: من الوجـد، وهو الحزن.
2 (?) الطلل: ما شخص من الآثار.
3 (?) أكمد: أحزن. من الكمد، وهو الحزن.
4 (?) يغـــور: يبلغ الغـــور، وهو المنخفض من الأرض. وينجـــد: يبلغ النجـــد، وهو المرتفع من الأرض.

وإن ناب أمر لم فمن عنده تيسير

فبيناهم في نعمة دليل به نهج

عزيز عليه أن حريص على أن

عطوف عليهم لا عليهم ويمهد [1]

فبينا هم في ذلك [2]

فأصبح محمودًا يبكِّيه حق

وأمست بلاد لغيبة ما كانت من

قفارًا سوى فقيد يبكيه بلاط

ومسجده خلاء له فيه مقام

وبالجمرة الكبرى ديار وعرصات [3]

فبكِّي رسول الله ولا أعرفنك الدهر

ومالك لا تبكين ذا سابغ يتغمد [4]

فجودي عليه لفقد الذي لا مثله

وما فقد الماضون ولا مثله حتى

---

1 (?) الكنـف: الناحيـة. ويمهـد: يقـال: مهـدت لنفسي ومهَـــــدت: أي جعلت لها مكانًا وطيئًا سهلاً.

2 (?) مقصـد: مصـيب. شـرح غـريب السـيرة 3/182.

3 (?) العرصات: جمع عرصة وهي ساحة الدار. والبقعة الواسعة بين الدور لا بنـاء فيهـا. انظر الوسيط (ع ر ص).

4 (?) سابغ: كثير تام. ويتغمد: يستر.

أعف وأوفى ذمة وأقرب منه نائلاً لا
وأبذل منه للطريق كان يتلد (5)
وأكرم صيتًا في (4) يسود
وأمنع ذروات شاهقات تشيد (4)
وأثبت فرعًا في فالعود أغيد (1)
رباه وليدًا فاستتم على أكرم
تناهت وصاة ولا الرأي يفند (2)
أقول ولا يلفى من الناس إلا
وليس هواي نازعًا لعلي به في جنة
مع المصطفى وفي نيل ذاك

---

4 (?) الذروات: الأعالى. وشاهقات: مرتفعات بعيدات.

4 (?) أبطحيا: منسوب إلى الأبطح بمكة، وهو موضع سهل متسع.

5 (?) يتلد: يكتسب قديمًا.

1 (?) المزن: السحاب. أغيد: ناعم متثن.

2 (?) يفند: يعاب.

مما يعين على الصبر

(1) الصلاة. قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: 45]، وكان النبي ﷺ «إذا حزبه أمر صلى»[1]. فمن نزلت به مصيبة وفزع إلى الصلاة وأكثر من التضرع والدعاء وتعظيم الله عز وجل وتسبيحه وجد تلك المصيبة أبرد على قلبه من الماء البارد، ووجد حلاوة صبره وعواقبها العاجلة والآجلة حيث إن الصلاة تجعل العبد يقترب من ربه تبارك وتعالى وفيها أسرار عظيمة وتعلق بالرب جل وعلا فإذا انطرح العبد بين يدي ربه واستشعر أنه واقف أمام ملك الملوك والذي بيده نواصي العباد وأنه لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه فسيجد أن هذه المصيبة تهون عليه وتنقلب إلى نعمة حيث إنها مقدرة من رب كريم رحيم.

(2) الإكثار من ذكر الله والاسترجاع والحوقلة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ

---

1 (?) رواه أحمد (5/388) من حديث حذيفة.

اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ [الرعد: 28].

قـال مالك بن دينـار: ما تلـذذ المتلـذذون بمثل ذكر الله عز وجل[1].

وعن ابن عبــــاس رضي الله عنهما أن رسـول الله ﷺ كـان إذا حزبه أمر قـال: **«لا إله إلا الله الحليم العظيم، لا إله إلا الله رب العـــرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم»** ثم يدعو[2].

(3) أن تعلم أنــك لســت الوحيــد المصاب، فكل الناس مثلك.

وإنَ امرءًا قد تقلب عصريه لغير
وما الدهر والأيام رزية مال أو فراق

قــــال ابن القيم رحمه اللـــــه: **«ومن علاجه أن يطفئ نــار مصــيبته بــبرد التأسي بأهل المصــــائب وليعلم أنه في كل واد بنو ســـعد، ولينظر يمنة**

---

1 (?) جامع العلوم والحكم (2/520).

2 (?) رواه أحمد (1/628) وقــال محققــه: إسناده صحيح على شـرط مسـلم – ط وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الطبعة الثانية 1420هـ.

فهل يـــرى إلا محنـــة؟ ثم ليعطف يسرة فهل يرى إلا حسرة؟...» وقـال ابن مسـعود : **«لكل فرحة ترحـة، وما ملئ بيت فرحًا إلا ملئ ترحًـا، وقـال ابن سـيرين: ما كـان ضـحك قط إلا كان بعده بكاء»**[1].

فمن نظر إلى الأنبيـــاء والمرســـلين والصالحين وغيرهم وما نالهم من المصائب فإنه يتسلىَ وتهون عليه مصيبته، قـال عليه الصـلاة والسـلام: **«انظـروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فـوقكم فهو أجـدر ألا تـزدروا نعمة الله عليكم»**[2].

والخنساء تقول:

ولولا كثرة الباكين على إخوانهم
وما يبكون مثل أعزي النفس عنه

(4) أن تعلم أن الجـــزع لن يــــرد المصيبة قبـل وقوعهـا، ولا يرفعهـا بعـد وقوعهـا، والصـبر يخففهـا والشـكر

---

1 (?) زاد المعاد (4/190).
2 (?) رواه مسلم – نووي (18/308).

والحمد علامة الرضا.

لا تجزعنِّ لخطب تغني وإلا فلا تعجز

وقدر شكر الفتى كقدر صبر الفتى

وقـــــال محمد بن كعب : **«الجـــــزع القـــول الســيئ والظن الســيئ»**[1]

وليعلم المصـاب الجـازع وإن بلغ به الجـزع غايته ونهايته فآخر أمره إلى صبر الاضطرار وهو غـــير محمـــود ولا مثـــاب عليـــه، فإنه استسلم للصبر وانقاد إليه رغم أنفه.

(5) ليس للمــؤمن إلا الرضــا والتســليم فكل شيء مكتـوب وكـل مقـدر كـائن قـال عليــه الصــلاة والســلام: **«رفعت الأقلام وجفت الصحف»**[2].

لكنه قدر الإله إلا رضا بالحكم

والله قد كتب وقضاؤه جفت به

والذي ابتلاك هو أحكم الحـاكمين، وأرحم الــراحمين، ولم يــنزل عليك البلاء ليعــذبك وإنما ابتلاك ليمتحنك في صــبرك ورضـــاك

---

1 (?) انظر صحيح البخاري – كتـاب الجنـائز مع الفتح (3/201).

2 (?) رواه الترمـذي – كتـاب صـفة القيامة (ح 2516).

وإيمانك وليسمع تضرعك وابتهالك وليرى انطراحك بين يديه.

وعن صهيب قال: قال رسول الله : **«عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له»**[1].

وقال سعيد بن المسيب: قال لقمان لابنه: **«لا ينزلن بك أمر رضيته أو كرهته إلا جعلت في الضمير منك أن ذلك خير لك»**[2].

ولما جيء بسعيد بن جبير رحمة الله عليه إلى الحجاج ليقتله بكى رجل فقال سعيد: ما يبكيك؟ قال: لما أصابك قال: فلا تبك، كان في علم الله أن يكون هذا ثم تلا: **مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**[3]

---

1 (?) رواه مسلم (4/2295) ح (2999).
2 (?) الرضا لابن أبي الدنيا (40).
3 (?) سير أعلام النبلاء (4/337).

[الحديد: 22].

(6) أن هـذه الحيـاة دار زوال وارتحـال، وليست دار بقاءٍ وخلود. قـال تعـالى: ﴿**كُـلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾ [القصـص: 88]، وقـال سـبحانه: ﴿**كُـلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَـانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾ [الرحمن: 26، 27]، فإذا علم المسلم ذلـــك، وتيقن أنـــه كمـــا ارتحـــل فلان فسوف يرتحل هو يوما من الأيام، كـان ذلك مدعاة لصبره وعزيمته على تقبـل المصائب بصدر رحب.

إني أعزيك لا إني ... من الحياة ولكن

ليس المعزى بباق ... ولا المعزي وإن

لما مــات ولد لرجل من الســلف عــزاه بعض العلماء وما زال في حزن شديد حـتى جاءه الفضيل بن عياض فقال: يا هذا أرأيت لو كنت في ســجن وابنك فــأفرج عن ابنك قبلك أما كنت تفرح؟ قـال: بلى! فـإن ابنك خـرج من سـجن الـدنيا قبلـك، فسـري عن الرجل وقال: تعزيت»[1].

1 (?) تسلية أهل المصائب (120).

وعن ابن عمر قال: أخذ النبي بمنكبي فقال: **«كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»**.

وكان ابن عمر يقول: **«إذ أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك»**[1].

(7) السعي في تخفيف المصائب بكل وسيلة:

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: **«ومن أنفع الأسباب لزوال القلق والهموم إذا حصل على العبد من النكبات أن يسعى في تخفيفها بأن يقدر أسوأ الاحتمالات التي ينتهي إليها الأمر ويوطن نفسه على ذلك، فإذا فعل ذلك فليسع إلى التخفيف ما يمكن تخفيفه بحسب الإمكان، فبهذا التوطين وهذا السعي النافع، تزول همومه وغمومه ويكون بدل ذلك السعي في**

---

1 (?) رواه البخاري (11/199 – 200) في الرقاق.

جلب المنـــــــافع ورفع المضــــــــار الميسورة للعبد فإذا حلت به أسـباب الخـوف وأسـباب الأسـقام وأسـباب الفقر والعـــــــــــدم لما يحبه من المحبوبـــــــات المتنوعة فليتلق ذلك بطمأنينة وتوطين للنفس عليهـا، بل على أشد ما يمكن منها، فإن توطين النفس على احتمال المكاره، يهونها ويزيل شـــدتها وخصوصا إذا أشـــغل نفسه بمرافعتها بحسب مقـــــــدوره فيجتمع في حقه تـوطين النفس مع السـعي النـافع الـذي يشـغل عن الاهتمـام بالمصـائب ويجاهد نفسه على تجديد قوته المقاومة للمكـــاره مع اعتمـــــاده في ذلك على اللـــــه، وحسن الثقة بـــه، ولا ريب أن لهــذه الأمور فائـدتها العظمى في حصـول السرور وانشراح الصدر مع ما يؤمله العبد من الثواب العاجل والآجل هـذا مشـاهد ومجـرب ووقائعه ممن جربه

كثيرة جدا»[1].

(8) أن تعلم أن هـذه المصـيبة إنمـا نـزلت وكـانت بقضـاء من اللـه وقـدر، ويلزمـك حينئـذ الصـبر والرضـا بـذلك، ومن هنا يتبين المؤمن من غيره ويظهر الفرق بين الصابر والساخط.

دع المقادير تجري	**ولا تبيتن إلا خالي**
ما بين رقدة عين	**يغير الله من حال**

وقـال بعض السـلف: **«إنك إن صبرت إيمانا واحتسـابا، وإلا سـلوت سـلو البهـائم»** ولا شك أن الله تبـارك وتعـالى أرحم بميتك منك، ومهما بلغت رحمتك لهذا الميت فلا تعـادل شـيئا أبـدًا برحمة من وسـعت رحمته السـموات والأرض. قـال تعـالى: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِـعَتْ كُـلَّ شَـيْءٍ**﴾ [الأعراف: 156].

وعن أبي هريرة قال: قـال رسـول الله ﷺ: **«لما خلق الله الخلق كتب في كتابـه، فهو عنـده فـوق العـرش؛ إن**

---

[1] (?) الوسـائل المفيـدة – مطبوعة ضـمن مؤلفاته (2/490).

رحمتي تغلب غضبي» وفي رواية: **«إن رحمتي سبقت غضبي»**[1].

ويجب أن تعلم أن الجزع لن يفيدك، إنما يزيـــدك آلامًا وحســـرات، ويضـــاعف عليك المصيبة، ويفوت عليك الأجر.

قـال علي : **«إنك إن صـبرت جـرت عليك المقـــادير وأنت مـــأجور، وإن جــزعت جـرت عليك المقـادير وأنت مأزور»**[2].

(9) أن الـدنيا لا تـدوم على حـال فيـوم يُسْرٍ ويوم عُسْرٍ قال تعالى: **﴿وَتِلْـكَ الْأَيَّامُ نُـدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾** [آل عمــران آيــة: 140].

لكل شيء إذا ما	**فلا يغر بطيب**
هي الأمور كما	**من سره زمن**
وهذه الدار لا	**ولا يدون على**
إذا ما أتاك الدهر	**فأفرغ لها صبرًا**
فإن تصاريف	**فيوم ترى يسرًا**

---

1 (?) رواه البخـــــاري (6/287) ح(3194)، ومسلم (4/2107) ح (2751).

2 (?) الرضا لابن أبي الدنيا (29).

وعَزَّى رجل رجلا فقـال: إن من كـان لك في الآخـرة أجـرًا، خـير ممن كـان لك في الدنيا سرورا.

(10) الثقة بالله وأنه هو الـــذي يكشف الضــر، ويرفع البلــوى ويخفف المصــاب، ويجبر الكسر.

قال تعالى: **أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ** الآية [النمل: 62].

أيــوب عليه الصــلاة والســلام لما مسه الضر التجأ إلى الله عز وجل قـال تعـالى: **وَأَيُّوبَ إِذْ نَـادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّـنِيَ الضُّـرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الـــرَّاحِمِينَ** [الأنبيـــاء: 83]

ويونس عليه الصلاة والسلام لما سـجن في بطن الحوت قال: **لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ** [الأنبياء: 87].

والنــبي الكــريم محمــد ﷺ لمــا حاصــره المشركون؛ وخاف أبو بكر عليه قـال عليـه الصلاة والسلام: **لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** [التوبة: 40] فكذا المؤمن إذا نـزلت بـه حادثـة أو مصـيبة فإنـه يلتجئ إلى ربـه تبـــارك وتعـــالى ويتخلى من التعلـــق بالخلق فلا ملجـأ ولا منجى من اللـه إلا

إليه.

مغيث أيوب ينيلني فرجا

(11) على قدر إيمان العبد يكون البلاء:

وفي الحديث: **«أيُّ الناس أشد بلاء قال الأنبياء. قلت ثم من: قال ثم الصالحون»**[1]. ثم اعلم أن الجزع يشمت عدوك، ويسوء صديقك، ويغضب ربك، ويسر شيطانك ويحبط أجرك، ويضعف نفسك، وإذا صبرت واحتسبت أخزيت شيطانك ورددته خاسئا، وأرضيت ربك، وأسررت صديقك، وأسأت عدوك، فهذا هو الثبات، والكمال الأعظم، لا لطم الخدود، وشق الجيوب والدعاء بالويل والثبور، والسخط على المقدور»[2].

(12) أن الصبر علامة القبول ولاسيما الأنبياء والصالحين.

---

1 (?) رواه بن ماجه (2/1334) ح (4024) بهذا اللفظ والحاكم (4/307) بنحوه وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي والألباني في الصحيحة (144) وقال البويصري في مصباح الزجاجة (1/188) هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات.

2 (?) انظر زاد المعاد (4/192).

قال تعـالى: ﴿**إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَـإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِـيعُ أَجْـرَ الْمُحْسِـنِينَ**﴾ [يوسـف: 90].

فلا شك أن من صبر عند مصابه فإنه يدل على قـوة إيمانـه، وقربـه من ربـه وهذه صفة الصالحين.

ما أحسن الصبر عند الإله وأنجاه

من شد بالصبر ألوت يداه بحبل

وكانوا في الجاهلية يشقون الجيـوب ويضـربون الخـدود وينوحـون، فجـاء الإسلام بإبطال هذه العادة الجاهلية بل إنهم كانوا يوصون بذلك قال طرفة:

إذا مت فانعيني الجيب يابنة معبد[1]

(13) الحـرص على عـدم تفـويت الأجر بالجزع:

قـال ابن القيم رحمه اللـه: «**ومن علاجها - المصـيبة - أن يعلم أن الجـزع لا يردهـا، بل يضـاعفها وهو في الحقيقة من تزايد المـرض**» وأن يعلم أن فوات ثواب الصـبر والتسـليم، وهو

---

1 (?) انظر فتح الباري (3/184).

الصـلاة والرحمة والهداية الـتي ضـمنها الله على الصبر، الاسترجاع أعظم من المصـيبة في الحقيقة [1] وعَزَّى صالح المري رجلا قد مات ولده، فقال: إن كانت مصيبتك أحدثت لك عظة في نفسك فنعم المصـــــــــــيبة مصيبتك، وإن كانت لم تحـدث لك عظة في نفسك فمصـــــــــــيبتك بنفسك أعظم من مصيبتك.

(14) قــراءة السـير وما حصل للأنبيــاء والمرسـلين عليهم الصـلاة والسـلام ولمن بعـدهم من المصـائب والشـرور والأحـزان، وكما قـــــــال ابن القيم: (وفي كل واد بنو سـعد) فكل مبتلى ومختـبر ولكن المعـول على الثبــات والصــبر. ومن قــرأ القــرآن الكريمُ طـالع السـنة المطهـرة فإنه يجد أن أكثر الناس قد أصابتهم اللواء والضراء حتى أكـرم الخلق على الله وهم أنبيـاؤه ورسـله قد أصابهم الشـيء الكثـير من ذلك ولكنهم رسموا لمن بعـدهم سـنة ومنهاجًا في تقبل أقــدار اللــه، والصــبر والاحتســاب عليهــا.

---

1 (?) زاد المعاد (4/191).

وينبغي للمسـلم أن يطـالع السـير والتـاريخ ليعلم أنه ليس الوحيد المصـــــاب وليطلع على صبر وثبات المؤمـنين الصـادقين فـإن ذلك أدعى لصـــــــــــبره، ومعينا له على الاحتسـاب وتقبل أقـدار الله بنفس راضـية وجوارح مطمئنة.

* * *

صبر جميل

قال تعالى: ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ**﴾ [يوسف: 18] فالمراد به الصبر الذي لا جزع فيه ولا شكوى.

قال مجاهد: لا أشكو ذلك لأحد.

وقال أبو حيان: المعنى: أجمل لكم في صبري فلا أعاشركم على كآبة الوجه، وعبوس الجبين، بل على ما كنت عليه معكم من قبل.

وما أحسن وصية النبي ﷺ لحبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فهي وسام ينبغي لكل مسلم أن يتزين بها ويتحلى بها ويعمل بها ظاهرًا وباطنًا قولاً وعملاً. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت رديف النبي ﷺ فقال: «**يا غلام أو يا غُليم ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن**»؟ قلت: بلى، فقال: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد جف القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق**

كلهم جميعًـــــا أرادوا أن ينفعـــــوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، وإن أرادوا أن يضـروك بشـيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليــه، واعلم أن في الصـبر على مـا تكـره خـيرًا كثـيرًا، وأن النصـر مـع الصـبر، وأن الفـــرج مـــع الكـــرب، وأن مـــع العسر يسرًا»[1].

ويوم كأنَّا ... وإن لم يكن نار

صبرنا له صبرًا ... تفرج أبواب

قـــال بعض الســـلف: **«لــولا مصــائب الدنيا لوردنا القيامة مفاليس»**[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللـه: **«وقد قيل الصـــــبر الجميل بغـــــير شـكوى إلى المخلـوق؛ ولهـذا قُـرِيَ على أحمد بن حنبل في مرضه أن طاووسًـا كـان يكـره أنين المــريض ويقـــول: إنه شـــكوى. فما أنَّ أحمد حتى مات»**. وأما الشكوى إلى الخالق فلا

---

1 (?) رواه أحمد في المســـــند (10/307) وإسناده صحيح.

2 (?) زاد المعاد (4/192).

تنافي الصبر الجميل، فإن يعقوب قال: ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ** ﴾ وقال: ﴿ **إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ** ﴾ [يوسف: 86] وكان عمر يقرأ في الفجر بسورة (يونس) و (يوسف) و (النحل) فمر بهذه الآية في قراءته فبكى حتى سمع نشيجه من آخر الصفوف...».

وقال: وفي الدعاء الذي دعا به النبي لما فعل به أهل الطائف ما فعلوا: «**اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربي، اللهم إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملَّكته أمري: إن لم يكن بك غضب عليَّ لا أبالي؛ غير أن عافيتك أوسع لي؛ أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن ينزل بي سخطك، أو يحل عليَّ غضبك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك**»[1].

---

1 (?) مجموع الفتاوى (10/183-184) والحديث رواه الطبراني من حديث عبد الله

وما مسني عسر إلى الملك الجبار

وقال ابن الأثير رحمه اللـه: «الاحتسـاب في الأعمال الصالحة وعند المكروهـات هـو البـدار إلى طلب الأجـر وتحصـيله بالتسـليم والصبر، أو باستعمال أنواع البر والقيام بهـا على الوجـه المرسـوم فيهـا طلبـا للثـواب المرجو منها»[1].

فصبرًا فإن الصبر ويا فوز من قد

وبت واثقًا فألطافه من لمحة

وإن جاء خطب فسوف تراه في

وكن راجعًا لله فليس لنا إلا إلى

* * *

بن جعفر وقـــال الهيثمي في مجمع الزوائد (6/35) ورجاله ثقــات إلا أن فيه تــدليس ابن إسحاق.

1 (?) النهاية في غريب الحديث (1/382).

الموت غاية كل حي

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: 185]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ [الجمعة: 8].

وقال سبحانه: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: 78].

وخاطب سبحانه وتعالى أكرم رسله محمدًا ﷺ فقال له: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: 30]، وكتب سبحانه الفناء على كل الخلائق: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 26، 27]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: 34].

فالموت حتم لازم، وسنة ماضية، وقدر مقدور، ولن يفر منه مخلوق فالواجب على المسلم إذًا أن يتأمل ذلك وأن يستعد لقبول ما قدره الله، ويتزود من الصالحات قبل الممات، فاليوم مات فلان وغدًا قد يكون هو

الميت.

وسرى الحديث أَوَما سمعتم عن

قالوا سمعنا غير المهيمن كل

وقال ابن الوردي رحمه الله:

كتب الموت على فل من جيش

أين نمرود وكنعان ملك الأرض وولىَّ

ِأين عاد أين رفع الأهرام من

أين من سادوا هلك الكل ولم تغن

أين أرباب الحجا أين أهل العلم

سيعيد الله كلا وسيجزي فاعلا ما

والعجب أننا إذا سمعنا أن فلانًا من الناس توفي فإننا نوجل ونرعوي ونتذكر هذا المصير المحتوم الذي كلنا سنصل إليه، وقد يصاحب هذا شيء من النشاط والجد في الطاعة والعبادة، وإحجام ونفرة عن المحرمات؛ ولكن سرعان ما ننسى ذلك ونعود إلى تقصيرنا ونلهو. نسأل الله جل وعلا أن يحيي قلوبنا ويحسن خاتمتنا.

تروعنا الجنائز ونلهو حين تذهب

كروعة هجمت فلما غاب عادت

إذا فالمتحتم علينا أن نستعد لذلك الموقف فنقدم الأعمال الصالحات، ونترك المحرمات، ونقبل على الكريم الرحيم، ومن تقرب إلى الله شبرًا تقرب منه ذراعا ومن أتاه يمشي أتى إليه هرولة، ولا يزال المسلم يتقرب إلى الله بالنوافل والمستحبات حتى يحبه الله فإذا أحبَّه الله كان الله سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فإذا سأله أعطاه وإذا استعاذ به أعاذه وإذا استنصره نصره. يقول أبو الحسن التهامي:

حكم المنية في ما هذه الدنيا بدار

بينا يرى الإنسان حتى يرى خبرًا من

طبعت على كدر صفوًا من الأقذاء

ومكلف الأيام ضد متطلب في الماء

*** * ***

المصاب من حرم الثواب

الخيرة كلها فيما اختاره الله سبحانه وتعالى ولو كرهت النفوس بعضا من ذلك، وذلك أن الله عز وجل يختبر عباده ليربو إيمان العبد ويتبين الصابر من غيره، ولو نظر المرء إلى التاريخ لوجد أن خير الناس وهم الأنبياء والمرسلون ومن بعدهم من الصحابة والصالحين لقوا من البلاء والشدة والمصائب الشيء الكثير ولكنهم وهم أعلم الناس وأكملهم إيمانًا صبروا فنالوا خيرا كثيرا. وخصوصا نبينا فقد فجع مرات عديدة بأحب الناس إليه فخديجة أم المؤمنين المرأة الكاملة التي ناصرت النبي وأيدته بنفسها ومالها وكانت من أحب نسائه إليه ماتت في حياته. وعمه أبو طالب – وكان مشركًا – ناصر دعوته وما نالت قريش من النبي إلا بعد وفاة أبي طالب وهو القائل:

والله لن يصلوا ... حتى أوسد في

وهو القائل:

ولقد علمت بأن ... من خير أديان

أيضا تـوفي في حياته فحـزن عليه حـتى سمي ذلك العام – عام الحزن – توفيت فيه خديجة وعمه أبو طالب.

وممن حزن الرسـول لموته أسد الله – حمـــزة بن عبد المطلب – عم الرســـول وأخوه من الرضاعة – فقد كـان لموته الأثر البالغ على رســول الله . قتل في معركة أحد شهيدًا في سبيل الله.

قال ابن إسحاق: «وقد أقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظـر إليـه – حمـزة – وكـان أخاها لأبيها وأمها فقال رسول الله لابنهـا الزبير بن العوام القهـا فأرجعهـا لا تـرى مـا بأخيها فقال لهـا: يـا أمـة إنَّ رسـول اللـه يأمرك أن ترجعي قالت: ولم وقد بلغني أنه مثل بأخي وذلك في الله فما أرضانا ما كان من ذلك لأحتسـبن ولأصـبرنَّ إن شـاء اللـه. فلما جاء الزبير إلى رسـول اللـه وأخـبره بذلك قال خـل سـبيلها فأتتـه فنظـرت إليـه وصـلت عليـه واسـترجعت واسـتغفرت[1].

وقالت رضي الله عنها ترثي أخاها حمزة :

---

[1] (?) انظر البداية والنهاية (4/42).

أسائلة أصحاب **بنات أبي من**

فقال الخبير إن **وزير رسول الله**

دعاه إله الحق ذو **إلى جنة يحيا بها**

فذلك ما كنا نرجى **لحمزة يوم الحشر**

فوالله لا أنساك **بكاء وحزنا**

[1] **يذود عن الإسلام**

فياليت شلوي [2] **لدى أضبع تعتادني**

أقول وقد أعلى **أخ ونصير [3]**

ومما يدل على شدة حزن ووجد النــبي على حمـــزة قوله لوحشي وهو الـــذي قتل حمـــزة – بعـــدما أســـلم وقص عليه مقتل حمـزة قـال: **«فهل تسـتطيع أن تغيب وجهك عني»**[4].

وقال عبد الله بن رواحة يبكي حمزة وأصحابه يوم أحد:

بكت عيني وحق **وما يغني البكاء**

على أسد الإله **أحمزة ذاكم الرجل**

---

1 (?) مدرهًا – سيدا.

2 (?) شلوى – جسري.

3 (?) البداية والنهاية (4/62).

4 (?) رواه البخاري (4072).

أصيب المسلمون هناك وقد أصيب
أبا يُعْلي لك وأنت الماجد البر
عليك سلام ربك مخالطها نعيم لا
ألا يا هاشم فكل فعالكم حسن
رسول الله بأمر الله ينطق إذ

*** * ***

أكمل الهدي

أكمل الهدي هدي رسول الله ﷺ فكان من هديه عليه الصلاة والسلام إذا أصيب بأحد ممن يحبه أن يحزن لذلك وتدمع عينه ويسترجع ويحمد الله ويصبر على ذلك.

والناس يختلفون عند المصائب على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من إذا نزلت به مصيبة جزع وسخط وشق جيبه ولطم خده وأخذ يصرخ وينوح على ميته ويتسخط على أقدار الله. وهذا والعياذ بالله قد أسخط ربه وأفرح الشيطان، وشابه أهل الجاهلية وابتعد عن هدي الرسول الكريم ﷺ ولم ينل الأجر بل نال الوزر، والخطيئة ولم يستفد من ذلك شيئا.

القسم الثاني: بالعكس من ذلك فإذا نزلت به مصيبة ضحك واستبشر وانشرح صدره؛ ظنًا منه أن هذا هو الذي يجب أن يفعله المسلم وأن هذا هو معنى الصبر. حتى إن بعض العارفين لما مات ولده ضحك فقيل له: أتضحك في هذه الحالة؟ قال: إن الله تعالى قضى بقضاء فأحببت أن أرضى بقضائه.

القسم الثالث: وهو الذي يجب على المسلم فعله وهو أن يرضى بقضاء الله وقدره مع حزنه على مصابه ودمع عينه من غير جزع ولا تسخط ولا اعتراض ويكثر من الحوقلة والاسترجاع والدعاء، وحمد الله.

ولذا سأل ابن القيم رحمه الله شيخه أبا العباس بن تيمية رحمه الله عن حال هذا العارف الذي ضحك عند مصابه فقال: **«هدي نبينا ﷺ كان أكمل من هدي هذا العارف فإنه أعطى العبودية حقها، فاتسع قلبه للرضا عن الله، ولرحمة الولد والرقة عليه، فحمد الله، ورضي عنه في قضائه وبكى رحمة ورأفة فحملته الرأفة على البكاء،**

وعبوديته للـــه، ومحبته له على الرضا والحمد، وهذا العارف ضــاق قلبه عن اجتمـــــاع الأمـــــرين ولم يتسع باطنه لشــهودهما والقيــام بهمــا، فشــغلته عبودية الرضا عن عبودية الرحمة والرأفة»[1].

وقــال الشـــيخ محمد بن عـــثيمين رحمه اللـــــــــــــــه: **«الواقع أن التبسم عند المصائب لا يـدل على كمـال المرتبة بل يـــــــــــدل على نقص المرتبة وأن الإنســـان أراد أن يطـــرد ما في قلبه من الحـــزن بهـــذا التبســـم، لكن إذا الحزن لم يرد على القلب من الأصل فذلك أكمل. وعلى هذا فإن الإنسان إذا أصــيب بمصــيبة وحــزن لها ولكنه بالنظر لقضاء الله وقـدره هي عنـده سواء مع عدمها فإن هـذا هو الرضـا، لكن كــون الإنســان يصــاب بمصــيبة، كـــــأن يكـــــون له ابن ميت وهو في المقبرة يضحك أو يبتسم فهـذا غـير**

---

1 (?) زاد المعاد (1/499).

مناسب، وهـذا يـدل على أن قلبه لم يتحمـل، وأراد أن يطـرد هـذا بهـذا، فنقصت حاله عن حال من كـان قلبه متحملاً بـدون أن يوجد شـيء ظـاهر يطرد هذا الشيء...»[1].

الصبر من مكارم الأخلاق

لما كـان أعظم النـاس خلقًا وأكـرمهم خصـالاً الأنبيـاء المرسـلون عليهم الصـلاة والسـلام فإنك تجد أنهم تحلـوا بالصـبر وأن حيـاتهم مليئة بالمصـائب والأذى ولكنهم عليهم الصـلاة والسـلام صـابرون على ما أصـابهم محتسـبون الأجر من الله **وَلَنَصْـبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ** [إبراهيم: 12]، **إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ** [يوسف: 86] والرسـول يقـول: **«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»**[2].

ولما سـئلت عائشة رضي الله عنها عن

---

[1] (?) فتاوى الشيخ محمد بن العـثيمين (1/53) إعداد وترتيب أشرف عبد المقصود.

[2] (?) رواه أحمد (2/381) قال محقق المسـند صحيح، وهذا إسناد قوي.

خلق الرسول ﷺ قالت: **«كان خلقه القرآن»**[1]. والله جل وعلا خاطبه فقال له: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم: 4].

يقول الشيخ العلامة محمد بن عثيمين: «وكلنا يعلم أن أقدار الله عز وجل التي يجريها على خلقه ليست كلها ملائمة للخلق بمعنى أن منها ما يوافق رغبات الخلق ومنها ما لا يوافقهم فالمرض مثلاً لا يلائم الإنسان، فكل إنسان يحب أن يكون صحيحًا معافى. وكذلك الفقر لا يلائم الإنسان، فالإنسان يحب أن يكون غنيًا وكذلك الجهل لا يلائم الإنسان، فالإنسان يحب أن يكون عالمًا، لكن أقدار الله عز وجل تتنوع لحكمة يعلمها الله عز وجل، منها ما يلائم الإنسان ويستريح له بمقتضى طبيعته. ومنها ما لا يكون كذلك. فما هو حسن الخلق مع الله عز وجل نحو أقداره؟

حسن الخلق مع الله نحو أقداره: أن ترضى بما قدر الله لك، وأن تطمئن إليه وأن تعلم أنه سبحانه وتعالى ما قدَّره إلا

---

1 (?) رواه البخاري رقم (6203) كتاب الأدب. ومسلم رقم (30) كتاب الآداب.

لحكمة عظيمة وغاية محمـــودة يســـتحق عليها الحمد والشكر. وعلى هذا فـإن حسن الخلق مع الله نحو أقــــداره هو أن يرضى الإنسان ويستسلم ويطمئن.

ولهذا امتدح الله الصابرين فقـال تعـالى: **﴿وَبَشِّرِ الصَّـابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَـابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْـهِ رَاجِعُـونَ﴾** [البقرة: 155، 156] فأجمل بمسلم نزلت به نازلــة، فاتسع صـــدره لهـــا، وأخذ بنصـــيب عظيم من مكـارم الرسـول ﷺ وأخلاقـه؛ فهو جمع بين خيرين – خير الصبر والرضا وخــير الأجر والمثوبة من الله عز وجل[1].

* * *

كل بدعة ضلالة

سئل سـماحة الشـيخ عبد العزيز بن بـاز رحمه الله: عن حكم قـراءة القـرآن للميت في داره؟ فأجـــاب: هـــذا العمل وأمثاله لا أصل له ولم يحفظ عن النبي ﷺ ولا أصـحابه ﷺ أنهم كانوا يقرؤون للموتى بل قـال النـبي ﷺ: **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»** أخرجه مســـلم في صــــحيحه

---

[1] (?) مكارم الأخلاق (22-23).

وعلقه البخـاري في الصـحيح جازمًا به وفي الصـــحيحين عن عائشة رضي الله عنها عن النبي قال: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**.

وفي صحيح مسلم عن جابر أن النبي كـان يقـول في خطبته يـوم الجمعـة: **«أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهـــدي هـــدي محمد وشر الأمـــور محـــــدثاتها وكل بدعة ضـــــلالة»** وزاد النسائي بإسناد صحيح: **«وكل ضلالة في النار»**.

أما الصـــدقة للمـــوتى والـــدعاء لهم فهو ينفعهم ويصل إليهم بإجمـــــاع المســـــلمين وبالله التوفيق والله المستعان[1].

* * *

[1] (?) الفتـاوى – من كتـاب الـدعوة (1/215-216).

ما ينتفع به الميت

صلتك بالميت – أخي المسلم – لا تنقطع بحمد الله، فـأنت تسـتطيع أن تصـله وتـبرَّه وتهدي له بعض الحسنات التي تكـون بـإذن الله رافعة لدرجاته وماحية لســـــــــيئاته والمسلم لا يعدم من إخوانه خيرًا.

ومما ينتفع به الميت:

1- الــدعاء: فــدعاء المســلم لأخيه – إذا توفرت منه شروط القبول – تنفع بإذن الله الميت، قــال الله تعــالى: **﴿وَالَّذِينَ جَـاءُوا مِنْ بَعْـــدِهِمْ يَقُولُـــونَ رَبَّنَا اغْفِـــرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَـــبَقُونَا بِالْإِيمَـــانِ وَلَا تَجْعَـلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُـوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾** [الحشر: 10].

وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله : **«دعوة المرء المســلم لأخيه بظهر الغيب مســـــــتجابة، وعند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخـــــير قــــال الملك الموكل بــــــــــــه: آمين ولك بمثل»**[1]. ويـدخل في ذلك صـلاة الجنـازة على هـــذا الميت لأن غالبها دعـــاء للميت

---

1 (?) رواه مسلم (8/87، 86).

واسـتغفار لـه، فعن عائشة رضي الله عنها قـالت: قـال رسـول الله ﷺ: **«ما من ميت تصـــلي عليه أمة من المســـلمين يبلغـون مائة كلهم يشـفعون لـه، إلا شفِّعوا فيه»**[1].

2- قضـاء ولي الميت صـوم النـذر عنه – لحـديث عائشة رضي الله عنها أن رسـول الله ﷺ قـال: **«من مـات وعليه صـيام، صام عنه وليه»**[2].

3- قضاء الـدين عنه – كما في الحـديث: أنه توفي رجل فغسلناه وحنطناه وكفناه ثم أتينا به رسـول الله ﷺ يصـلي عليه فقلنـا: نصـلي عليـه. فخطا خطى ثم قـال أعليه دين؟ قلنا دينـاران، فانصـرف فتحملهما أبو قتادة فأتيناه فقال أبو قتادة: الديناران علي فقال رسول الله ﷺ: **«حق الغريم، وبـرئ منهما الميت»** قال: نعم فصلى عليـه. ثم قـال بعد ذلك بيـوم: ما فعل الـديناران؟ فقـال: إنما مـات أمس. قـال فعـاد إليه من الغد، فقال قضـيتهما، فقـال رسـول الله ﷺ:

---

1 (?) رواه مسلم (3/53).

2 (?) رواه البخاري (4/56) ومسلم (3/155).

«الآن بردت عليه جلده»[1].

4- الصـــدقة عنـــه: ويـــدل عليه حـــديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا: **«أن رجلاً قـــال: إن أمي افتلتت نفســـها ولم تـــوص وأظنها لو تكلمت تصـــدقت، فهل لها أجر إن تصـــدقت عنها ولي أجر؟ قال نعم، فتصدق عنها»**[2].

5- ما تـــرك الميت من آثـــار صـــالحة وصدقات جارية.

عن أبي هريـرة أن رسـول الله قـال: **«إذا مـــات ابن آدم انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة أشـــياء إلا من صـــدقة جارية، وعلم ينتفع بـه، أو ولد صـالح يدعو له»**[3].

أســـأل الله تبـــارك وتعـــالى بأســـمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجبر مصـاب كل مســـــلم ومســـــلمة وأن يعظم لهم الأجر

---

1 (?) رواه أحمد (3/330) وقال محقق المسند إسناده حسن (22/406).

2 (?) رواه البخـاري (5/399-400) ومسـلم (3/81).

3 (?) رواه مسلم (5/73).

ويجــزل لهم المثوبة وأن يــرزقهم الاقتــداء بنبيهم محمد في جميع أقــوالهم وأفعـالهم وأحوالهم وأن يحسن لنا ولهم الخاتمة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العـالمين، وصـــــلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفهرس

* * *